مجلة الشهاب • المجلد: 12، العدد: 03 (2026م) • ص ص 711 – 730
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

المقاربة الاستشراقية لعلم الكلام:
قراءة نقدية في المنطلقات المعرفية وآليات التشويه

The Orientalist Approach to Islamic Kalām: A Critical Analysis of its Epistemic Premises and Mechanisms of Distortion

فتيحة دوار *
جامعة الجزائر1 (الجزائر)
f.daouar@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2026-07-06	تاريخ القبول: 2026-09-16	تاريخ النشر: 2026-11-15

****

ملخص:

تتناول هذه الدّراسة المقاربة الاستشراقية لعلم الكلام الإسلامي بوصفها مسارا معرفيا متدرّجا، انتقل من الجدل الديني في أول الأمر إلى التحقيق النصّي والتاريخي في القرن التاسع عشر إلى القراءات النقدية المعاصرة، كاشفا الأصول المذهبية والأغراض المغرضة والدواعي التي تحكم مقاربة الاستشراق للمسائل الكلامية والمدارس الحجاجية، حيث تُحلّل هذه الدراسة النقدية المناهج الاستشراقية التي تعتمد على عزل علم الكلام عن مراميه التي يصبو إليها، وتستهدف تصنيفه وفق رؤية تبتر التراث عن غاياته الإيمانية، وتخلص الدّراسة إلى أن أغلب هذه المقاربات رغم تفاوت أدواتها المنهجية، تتقاسم نزوعا مشتركا نحو إسقاط الثنائيات الغربية الحديثة على بنية فكرية مغايرة، وتُغييب عمدا الأصالة القرآنية لمسائل علم الكلام، وهو ما يستدعي بناء منهج نقدي إسلامي مستقل، يستثمر ما هو نافع في الجهد الاستشراقي التحقيقي ويتجاوز الخلفيات العقائدية.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق؛ علم الكلام؛ الفرق الإسلامية؛ الاستشراق الكلامي؛ المنهج الاستشراقي.

Abstract:

This study examines the Orientalist approach to Islamic Kalam (Islamic scholastic theology) as a gradual epistemological trajectory that moved from religious polemics in its early stages to textual and historical investigation in the nineteenth century, and subsequently to contemporary critical readings. It reveals the doctrinal premises, underlying agendas, and motives that have shaped Orientalist approaches to Kalam issues and theological schools of argumentation. The study critically analyzes Orientalist methodologies that seek to detach Kalam from its underlying purposes and to classify its schools according to a framework that

* المؤلف المراسل.

severs the Islamic intellectual heritage from its faith-based objectives. It concludes that most of these approaches, despite the differences in their methodological tools, share a common tendency to project modern Western dichotomies onto a fundamentally different intellectual structure, while deliberately obscuring the Quranic foundations of Kalam issues. This calls for the development of an independent Islamic critical methodology that draws upon what is valuable in Orientalist textual and historical scholarship while moving beyond its doctrinal assumptions.

Keywords: Orientalism; Theological Orientalism; Orientalist methodology; Islamic sects; Islamic scholastic theology.

1. مقدمة

لم تكن العلاقة بين الاستشراق الغربي وعلم الكلام الإسلامي علاقة حياد معرفي محض، بل كانت في جانب كبير منها محكومة بمنطلقات فلسفية وأيديولوجية سابقة على المادة المدروسة نفسها، صبغت أدوات البحث ونتائجه على نحو يستدعي نقدا دقيقا، فالمستشرق حين يقرأ نصًا كلاميًا لا ينطلق من فراغ معرفي بل من جهاز تصوري تكوّن أصلا في سياق حضاري مغاير، حمل معه مقولات ومعايير لم تُصمَّم أصلاً لقراءة هذا الموضوع، وهو ما انعكس على صورة علم الكلام كما رُسما الاستشراق الكلامي.

وتنبني مشكلة هذه الدراسة على التساؤل الآتي:

كيف ساهمت المنطلقات الأيديولوجية المسبقة في توجيه المقاربة الاستشراقية لعلم الكلام الإسلامي، وكيف أدى إسقاط المعايير الحضارية الغربية إلى تشويه خصوصية هذا العلم وأصالة قضاياه ومدارسه الحجاجية؟

وما هي أبرز تجليات التشويه التطبيقي التي لحقت بأمهات المسائل العقدية وبتصنيف الفرق والمدارس الإسلامية في المتن الاستشراقي؟

وتتجه هذه الدّراسة إلى معالجة هذه الإشكالية من زاوية تأسيسية ونقدية معا، فتأسيسية من حيث تتبعها لمراحل تطور هذه المقاربة تاريخيا، ونقدية من حيث كشفها للمنطلقات المعرفية والخلفيات العقائدية الكامنة خلفها، وتحليلها لأبرز صورها التطبيقية في معالجة القضايا الكلامية الكبرى وتصنيف المدارس الكلامية. وتقوم الدراسة على فرضية مركزية مفادها أن أغلب القراءات الاستشراقية الكلاسيكية لعلم الكلام، رغم تباين مشاربها المنهجية، تتقاسم نزوعا واحدا، هو إسقاط معايير غربية حديثة على ظاهرة فكرية نشأت في سياق معرفي مغاير، وأن هذا الإسقاط هو الذي يفسر كثيرا من الأحكام المسبقة التي راجت حول أصالة علم الكلام ووظيفته ومدارسه.

اعتمدت هذا الدّراسة على المنهج الوصفي التحليلي في عرض مفهوم الاستشراق وتطوره، والمنهج النقدي في تحليل أبرز المواقف الاستشراقية من نشأة علم الكلام ومذاهبه، استنادا إلى مصادر استشراقية أصيلة ومصادر إسلامية ناقدة لها.

2. الإطار المفاهيمي للدّراسة

1.2. ماهية الاستشراق:

يرتبط لفظ "لاستشراق" لغة بمادة (ش ر ق) الدالة على الطلوع والظهور، فيقال شرقت الشمس إذا طلعت، والصيغة على وزن (استفعال) تفيد في لسان العرب الطَّلَبَ أي طلب الشرق[1]، غير أن الدلالة الاصطلاحية ابتعدت عن هذا الأصل اللغوي المباشر، لتصبح اسما لحقل معرفي متخصّص في دراسة لغات الشرق وعلومه وتاريخه، أي طلب علوم الشرق والتخصص في معرفتها[2].

ولم تكن المؤسسة الاستشراقية في بداياتها فرعا أكاديميا قائما بذاته، بل نشأت من رحم الحاجة اللاهوتية الأوروبية إلى فهم "الخصم العقدي" الإسلامي في سياق الصّراع الديني الطويل بين الإسلام والمسيحية، ثم تطورت بعد ذلك مع التوسع الاستعماري إلى أداة معرفية تخدم أغراضا إدارية وسياسية، قبل أن تتبلور أخيرا في القرنين التاسع عشر والعشرين في صورة أقسام جامعية متخصصة تحت اسم الدّراسات الشرقية فقه اللغات السامية، الدراسات الإسلامية حيث تخضع لمعايير أكاديمية صارمة من جهة، وتظل في الوقت نفسه حاملة لإرث تاريخي مشحون بالموروث الذهني السابق من جهة أخرى.

ويُعد تعريف إدوارد سعيد للاستشراق أحد أكثر التعريفات تأثيرا في النقد المعاصر؛ فهو يصفه بأنه أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بين "الشرق" و"الغرب"[3]، بل يذهب إلى اعتباره أسلوبا غربيا للهيمنة على الشرق وإعادة بنائه والتسلّط عليه، وهو طرح بالغ الأهمية في تفكيك البنية السلطوية للخطاب الاستشراقي العام، لكنه كما سيتبين لاحقا لا يصلح أن يكون مفتاحا تفسيريا وحيدا لكل ما أنتجه المستشرقون في حقل علم الكلام بخاصة، إذ توجد بين هؤلاء فروق منهجية وأخلاقية لا يستوعبها التعميم النقدي الواحد.

ومنذ أن جرى تقييد لفظ "الاستشراق" (Orientalisme) رسميا في معجم الأكاديمية الفرنسية سنة 1838م[4]، بعد أن ظلَّ متداولا في الأوساط الأدبية والعلمية لعقود خلَت، انتقل هذا الأثر إلى طور

(1) إسماعيل بن حماد الجوهري. الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية. مادة (شرق)، مجلد 4، ص 1503/محمد بن مكرم ابن منظور. مادة (ش ر ق).

(2) محمد فاروق النبهان، الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره، ص 11.

(3) إدوارد سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، ص 43-44.

(4) محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص20. وانظر Encyclopædia Universalis, art "Orientalisme", Paris.

المؤسسة الأكاديمية المنظمة؛ حيث أُحدثت كراسي علمية مستجدة في جامعات كبرى كـ لايبزغ (Leipzig) وبون (Bonn) وكامبريدج (Cambridge) وأكسفورد (Oxford) وليدن (Leiden)، وتخصّصت تباعا في اللغات السامية ثم في علوم الإسلام وفروعه، وكان من الطبيعي أن يجد حقل النظر والكلام موقعا متقدما في هذه العناية الأكاديمية لكونه الحقل الإسلامي الأقرب بنيويا إلى تخصصات الباحثين الغربيين الأصلية في الدين والفلسفة.

والاستشراق اليوم مؤسسة ضخمة تضم العلم والسياسة والاقتصاد والإعلام في آن واحد، وبخاصة حين يكون الشرق هو الإسلام بكل تجليات حضارته، ويرتبط هذا المفهوم ارتباطا وثيقا بالموروث التاريخي للشخصية الغربية في نظرتها إلى الحضارة الإسلامية، موروث مثقل بالتراكمات النفسية والمشاعر الضاغطة المسيطرة على حركة الفكر المؤثرة في السلوكيات والمواقف[1].

فالاستشراق مفهوم يقوم على الاهتمام بأحوال الشرق عامة معها علوم العالم الإسلامي كلها، والكشف عن عقليات شعوبه وأسراره وأمزجته وحضارته، وتلمّس مواضع القوة والضعف فيها، توطئة لحملات التبشير وموجات الاستعمار، ثم أصبح بعد انحسار الاستعمار العسكري المباشر يمهّد الأرضية للاستعمار الفكري والسياسي والاقتصادي لشعوب العالم الإسلامي عامة وشعوب الشرق الأدنى خاصة[2]، وهو ما يجعل من البحث في فرعه الكلامي حلقة لازمة من حلقات نقد الخطاب الاستشراقي عموما لا تنفصل عن سياقه المعرفي العام.

2.2. مفهوم علم الكلام:

علم الكلام يُسمّى أيضا بأصول الدين، وقد سمّاه أبو حنيفة ﵀ بالفقه الأكبر، كما يُسمّى بعلم النظر والاستدلال، وبعلم التوحيد والصفات، وهو علمٌ يُقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير، بإيراد الحجج ودفع الشُّبَه[3].

ومن تعاريفه أيضا أنه علم "هو علم يتضمّن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والنقلية، والردّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وسرّ هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد"[4]، وهو تعريف يربط بين الوظيفة الجدلية لعلم الكلام وغايته العقدية الكبرى، المتمثلة في تثبيت التوحيد ودفع شُبه المنحرفين عنه، فصناعة الكلام يقتدر بها على نصرة الآراء التي صرّح بها واضع الملّة، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل[5].

(1) سعيد إدوارد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد عناني، ص 12.

(2) الحاج، ساسي سالم، نقد الخطاب الاستشراقي، ج1، ص 20.

(3) محمد بن علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص 29.

(4) عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص 580.

(5) أبو النصر الفارابي، إحصاء العلوم، ص107.

وبناء على هذا يمكن استخلاص التعريف الإجرائي لمصطلح الاستشراق الكلامي أنه" مجموع ما أنتجه الباحثون الغربيون المتخصصون في اللسان العربي ومجمل علوم المسلمين من دراسات تتناول علم الكلام الإسلامي تحقيقا ونشرا وتأريخا وتحليلا ومقارنة، في سياق تاريخي اتسم بالتوتر الديني والتمدد الاستعماري، مع ما تضمنته هذه الدراسات من منطلقات معرفية مسبقة ومناهج محددة وأحكام تقييمية "[1].

وعليه نقصد بالمقاربة الاستشراقية لعلم الكلام الإسلامي: جملة الطرائق والمناهج التي وظّفها المستشرقون في قراءة المتن الكلامي الإسلامي وتفسيره، وهي مقاربة لا تنفصل عن سياقها الحضاري وخلفياتها العقدية والأيديولوجية، ولا عن المصادرات المعرفية المسبقة التي وجّهت نتائجها وأحكامها في دراسة قضايا الكلام وفرقه ومدارسه.

3. اهتمام الاستشراق بعلم الكلام

1.3. حجم الاهتمام الاستشراقي بعلم الكلام و اتجاهاته:

كان اهتمام المستشرقين بعلم الكلام ملاحظا منذ البداية[2]، وظهر هذا خاصة في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، فرجعوا أولا إلى المخطوطات المحفوظة في مختلف مكتبات أوروبا والعالم الإسلامي ونشروا ما تيسّر لهم نشره، وترجمو كثير منها إلى مختلف اللغات الأوروبية، لا سيما الألمانية والفرنسية والإنجليزية[3].

ولقد اتجهت أعمال المستشرقين إلى التعرّف على علم الكلام في مضمونه الذاتي وقرائنه التاريخية والحضارية، وإلى معالم المذاهب الكلامية للفرق الإسلامية كالمعتزلة والأشاعرة والإمامية والإباضية، كما اتجه الاهتمام إلى دراسة كبريات القضايا الكلامية، مثل البحث في الصّفات الإلهية، ومسألة حرية الفعل الإنساني وفي منزلة العقل عند المتكلمين، فضلًا عن عناية بعض الّدراسات بالتعرف على أهم أعلام المتكلمين من مختلف المذاهب، والكشف عن المؤثرات الثقافية في أنساقهم الكلاميّة[4]، وقد وظّف في " دواعٍ تبشيرية دراسةَ الفرق والمذاهب الكلامية لرصد مكامن الخلاف بينها، بهدف دحض العقيدة الإسلامية وتسهيل الاختراق التبشيري"[5].

ومن المستشرقين من عُني بعلم الكلام عناية خاصة وصل إلى دقائق المسائل الكلاميّة منهم المستشرق الألماني أوتو بريتسل (Otto Pretzl, 1893-1941) حيث تمثل أطروحاته نموذجا جليا لمسالك التوهين

(1) التعريف من إطلاق الباحث بعد طول تتبع وتفتيش في مصنفات الاستشراق المعنية بحقل النظر والكلام.

(2) شافية صديق، علم الكلام الإسلامي في كتابات المستشرقين: دراسة عينات، ص11.والتي بعدها.

(3) نادر ألبير نصري، مساهمة المستشرقين في نشر التراث الإسلامي الخاص في علم الكلام، ص 306.

(4) التميمي، حيدر قاسم مطر، علم الكلام الإسلامي في دراسات المستشرقين الألمان/موقع مركز دراسات الوحدة العربية: https://lb.org.caus، تاريخ التصفح: (جانفي 2026).

(5) انظر: عبد المنعم فؤاد، من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، الرياض، ص 2.

الاستشراقي التي تسعى حثيثا إلى ربط أصول المتكلمين المسلمين بالمنقولات الفلسفية اليونانية؛ وتتجلى هذه النزعة في عملين محوريين له: الأول مقالته الصادرة عام 1931م بعنوان " The Early Islamic Doctrine of Atoms. A Contribution to the Question concerning the Relations of Early Islamic Theology to Greek Philosophy"، والتي ركّز فيها على مسألة (الجوهر الفرد) بغية تحويرها إلى مجرد أثر مشتق من الطبيعيات اليونانية، أما العمل الثاني فهو أطروحته الصادرة عن الأكاديمية البافارية للعلوم عام 1940م بعنوان " The Early Islamic Doctrine of Attributes. Its Worldview Foundations and Effects"، والتي سعى من خلالها إلى تفكيك مسألة "الصّفات الإلهية"[1]وردّها إلى أقيسة لاهوتية مسيحيّة أجنبية عن بيئة الوحي الإسلامي؛ وهو ما يكشف عن مصادرة قبلية مشتركة تهدف إلى تجريد حقل النظر الكلامي من أصالته القرآنية وسياقاته المذهبية المستقلة، مع أنه بدأ دراسته في علم الكلام ببحث عن مذهب الذرّة عند المتكلمين، معتمدا على كتاب "مقالات الإسلاميين" للأشعري، وانتهى إلى أن القول بتأثير الفلسفة اليونانية في المرحلة الأولى من علم الكلام، وأنه يجب إعادة النظر في تاريخ علم الكلام قبل الأشعري، وكانت آخر أبحاثه عن صفات الله تعالى عند المتكلمين الأوائل[2].

ومن المستشرقين من اهتم بتنقيح المخطوطات المتعلقة بعلم الكلام، وهو المنحى التحقيقي النصي الذي تتبع مساره المستشرق إيفاريست ليفي بروفنسال (Évariste Lévi-Provençal, 1894-1956) " الذي اهتم بتحقيق وتنقيح مخطوطات علم الكلام التي كانت محفوظة في مكتبة الأسكوريال بإسبانيا، ونشرها في باريس[3]، حيث مهدت هذه الفهارس السبيل للدوائر الاستشراقية للوصول إلى أمهات المتون العقائدية الحاضنة لمقالات المتكلمين وعزلها عن سياقها الوظيفي.

4. المسار التاريخي للمقاربة الاستشراقية لعلم الكلام

1.4. الإرهاصات المبكرة ومسالك الحجاج الديني ضد مقالات المتكلمين:

ارتبطت الإرهاصات الأولى للاهتمام الغربي بالفكر الإسلامي عموما، وبعلم الكلام خصوصا بسياق سجالي محكوم بالدوافع الدينية والجدل الديني المسيحي ضد الإسلام، خلال المدة الممتدة بين القرنين الثاني عشر والسابع عشر الميلاديين، ولم تكن القراءات في هذه المرحلة معنية باستكشاف المنظومة المعرفية الإسلامية في ذاتها، بل انطلقت من رغبة دفاعية تستهدف تحصين الذات الغربية، وتفنيد العقائد الإسلامية ونقدها[4]، وقد انعكس هذا المنظور السجالي مباشرة على نمط التعامل مع علم الكلام، الذي جرى اختزاله في كونه مجرد "لاهوت إسلامي" (Islamic Theology) يقابل اللاهوت المسيحي في بنيته

(1) Pretzl,, Die frühislamische Atomenlehre, p. 117.

(2) هدى الشلالي، موقف المستشرقين من علم الكلام والأشاعرة، ص 68.

(3) Lévi-Provençal, 1928, Les manuscrits arabes de l'Escurial [Tome III], + 330 p.

(4) Gardet & Anawati, Introduction à la théologie musulmane, 1948, p. 8.

العقدية، وهو اختزال أدى إلى تغييب الخصوصية المعرفية والإبستيمولوجية التي يتمتع بها الكلام بوصفه علما إسلاميا أصيلا، نشأ للاستدلال على العقائد الإيمانية ودفع الشبه عنها بالأدلة العقلية[1].

2.4. التقنين الأكاديمي للاستشراق ومركزية التحقيق النصي:

مع حلول القرن التاسع عشر شهدت حركة الاستشراق تحولا بنيويا عميقا، تمثّل في الانتقال من الفضاء الديني الكنسي إلى الفضاء الأكاديمي المؤسساتي، تجلى في تأسيس الجمعيات الاستشراقية الكبرى في فرنسا وألمانيا وبريطانيا، واعتماد المنهج التحقيقي النصي (Philological Approach) والنظر إلى مقالات المتكلمين كعوارض زمنية ونوازل حادثة خاضعة للموازنة المقارنة[2]، ورغم غزارة الإنتاج العلمي في هذه المرحلة، ظلت الإشكالات المنهجية تلازم قراءاتها للتراث الكلامي.

ففي هذا السياق عمد دي لاسي أوليري (De Lacy O'Leary, 1872-1957) في كتابه "الفكر العربي ومكانه في التاريخ" (Arabic Thought and its Place in History) الصادر سنة 1922م، إلى اختزال علم الكلام في المؤثرات اليونانية، واصفًا إياه بأنه حلقة وصل ثانوية لا أصالة استقلالية لها[3]، وفي المنحى ذاته ذهب إيجناز جولدتسيهر (Ignaz Goldziher, 1850-1921) في كتابه "العقيدة والشريعة في الإسلام" (Vorlesungen über den Islamالصادرة سنة 1910م إلى التشكيك المنهجي في أصالة المقولات الكلامية، معتبرا إياها استجابة لضغوط خارجية وخلافات سياسية مبكرة أكثر من كونها بحثا عقديا مستقلا، أما ألوف يان فينسينك (A. J. Wensinck, 1882-1939) في كتابه "العقيدة الإسلامية: نشأتها وتطورها التاريخي" (The Muslim Creed: Its Genesis and Historical Development) الصادر عن مطبعة جامعة كامبردج، 1932م، الذي أخضع العقيدة الإسلامية لموازنة دينية جائرة، حاول من خلالها ردّ أمهات مسائلها الكلامية إلى جذور يهودية ونصرانية سابقة؛ ملوّحا سلفا بتبعية حقل النظر الكلامي للمنقولات الغربية، ومُدّعيا أن "التقارب بين مقالة الخوارج وعقيدة الكاثوليك في الذنب ليس أمرا عرضيا وليد المصادفة[4]، في إشارة أيديولوجية سبقت تصريحه اللاحق بوجوب رد بعض عقائد المسلمين إلى تأثير النصرانية عند مناقشة مسألة القدر والجبر، وهو منحى إسقاطي يغفل أو يتغافل كليا عن الأسباب الحقيقية والبيئة الإسلامية الداخلية التي ولدت فيها هذه النقاشات، ويتطاول بغير حق علمي على أصالة الوحي وقرآنيته التي هي المصدر الأول والأخير لكل هذه المسائل العقدية الحاضنة للنبتة الإسلامية الخالصة، وهذا لا يعني بحال من الأحوال أن مناقشات أهل الكلام خاصة المعتزلة ومحققي الاشاعرة كانت بمعزل عن رد شبهات ومطاعن النصارى واليهود وأصحاب الديانات المختلفة ولكن الحديث هنا عن جملة من المسائل الكلامية نبتت من البيئة الإسلامية وغذاها القران باياته المتشابهة والمحكمة.

(1) محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص 21-22/ص 154 .

(2) محمد فاروق النبهان، الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره. ص 11-15.

(3) O'Leary, 1922, Arabic Thought and its Place in History, p. vi.

(4) Arent Jan Wensinck, 1932, The Muslim Creed, p. 47.

وهذا لا يعني بحال من الأحوال أن مناظرات أهل الكلام لا سيما متقدمي المعتزلة ومحققي الأشاعرة كانت بمعزل عن دَحض شبهات ومطاعن النصارى واليهود وأرباب النِّحل والديانات المختلفة، إذ تضلّع المتكلمون بوظيفة حراس العقيدة في دفع صدمات الوافدين وتفنيد مقالات المخالفين في الملّة في مجالس المناظرة ودار الإسلام، ولكن الحديث هنا يمتخض في بيان أن جُملة هذه المسائل الكلامية الكبرى إنما نبتت أصالتها ونتائجها من تُربة البيئة الإسلامية الداخلية، وغذّاها الوحي الحنيف بآياته المتشابهات والمحكمات؛ حيث كان تدبّر النص القرآني ومحاولة التوفيق بين العقل والنقل هو الباعث الحقيقي والقطب الذي دار عليه الخلاف، في حين لم يكن حجاج الخصوم من أهل الكتاب إلا عارضا خارجيا استدعى شحذ الأدلة وصياغتها في أقيسة حجاجية برهانية لرد شبهاتهم.

ولم يخرج لويس غارديه بالتعاون مع جورج قنواتي عن هذا الإطار حين قدّما في كتابهما "Introduction à la théologie musulmane: Essai de théologie comparée" الصادر بباريس سنة 1948م، قراءة مقارنة جعلت من اللاهوت المسيحي معيارا تقييميا ثابتا للحكم على نضج المقولات الكلامية الإسلامية، كما جاءت أطروحة هاري وولفسون (Harry A. Wolfson, 1889-1974) في كتابه الشهير فلسفة علم الكلام" (The Philosophy of the Kalam)، الصادرة عن مطبعة جامعة هارفارد عام 1976م؛ حيث سعى فيه إلى تجريد حقل النظر الكلامي من أصالته القرآنية عبر ردّ مقالات المتكلمين وأقيسة الحجاج الإسلامية إلى أصول أجنبية مشتقة من الفكر الهيليني وأطروحات فيلون الإسكندري.

وفي السياق ذاته لم تقف مسالك هذا النمط الاستشراقي عند حدود التقييم النظري، بل عمدت جُملة من الدراسات الموجهة نحو الحقل الكلامي إلى النيل من أصول المقالات السنّية وتوهين مناهجها الحجاجية، في مقابل إبداء رغبة ظاهرة وتفضيل منهجي للمنظومة الكلامية الشيعية؛ حيث سعى هذا المسلك إلى تصوير الفكر السنّي في صورة المذهب المدرسي الجامد، بينما أُضفيت هالة من الحركية والعقلانية والعمق الروحي على المقالات المقابلة، وهو توظيفٌ سجالي مبطّن يبتغي خلخلة الإجماع التاريخي للأمة وتفتيت ركائز بنيتها الاعتقادية الحاضنة لهويتها الحضارية، يظهر هذا بوضوح في المنزع الانحيازي الذي رافق مواقف المستشرق الفرنسي هنري كوربان (Henry Corbin, 1903-1978)[1]، إذ ينطلق في قراءته من ميل ظاهر نحو مذهب دون آخر، معاديّا حقل النظر والكلام السنّي لا سيما في طوره الأشعري وأن علم الكلام الأشعري خاصة هو مجرد جدل عقلي جاف وترف حجاجي مدرسي بارد يقف عند ظواهر الألفاظ والمفاهيم دون أن يَنفذ إلى حقائق العرفان الصوفي وأسرار علوم القلوب، ولا شك أنه تقييمٌ قاصر أفضى بكوربان إلى إقصاء مقالات المتكلمين السنّة عن مركز عنايته الاستشراقية، مستعيضا عنها بتقديم أطروحات الفلسفة الإشراقية والتشيع الإمامي كبديلٍ روحي وعقلي كلي؛ إذ زعم أن الروح

(1) انظر كتابه بعنوان. تاريخ الفلسفة الإسلامية الذي ترجمه نصير مروة وحسن قبيسي، وجل أفكار الكتاب بداية من المقدمة على هذا المنحى والعمل الأصلي نُشر بالفرنسية لأول عام 1964.

الحقيقية للإسلام لا تتجسد في الدواوين الكلامية الأشعرية، بل في حكمة الملا صدرا والسهروردي والميرداماد، مدّعيا أن هذا المناحي الحِجاجية المتأخرة هي الكفيلة والوحيدة بالإجابة عن أسئلة الوجود الإنساني، دون الأقيسة النظرية لعلماء الكلام المسلمين السنة[1].

إن الطّرح الذي قدمه هنري كوربان (Henry Corbin, 1903–1978) يمثل ثغرة منهجية مبنية على قراءة مجتزأة لا تعكس بنية علم الكلام السنّي الذي تلازم فيه النظر مع التزكية، فادعاء كوربان خلوَّ النظر الكلامي السُنّي من الأبعاد الروحية وانفصاله عن علوم القلوب مغالطة تاريخية ومصادرة كاشفة عن تهافت أدواته المنهجية؛ إذ إن تاريخ المقالات السُنّية لا سيما الأشعرية منها قد اتسم بعلاقة تلازمية وطيدة مع التصوّف السُنّي المنضبط بقواطع الشرع ومحكمات الأثر، وتتضح أبهى صور هذا التكامل المعرفي والسلوكي في نتاج علماء أهل السنة في الغرب الإسلامي، وعلى رأسهم محمد بن يوسف السنوسي التلمساني (832هـ - 895هـ) إذ لم يكن الدّرس العقدي عنده مجرد أقيسة منطقية جافة، بل كان خادما ومؤسسا لتصفية البواطن، ويظهر هذا المزج الفريد بين علم الكلام وحال التعبّد بوضوح في مصنفه الشهير "عمدة أهل التوفيق والتسديد في شرح عقيدة أهل التوحيد" (المعروف بشرح العقيدة الكبرى)[2]، حيث قارب فيه المسائل الكلامية بنفحة وجدانية ذوقية تجعل الفقه الأكبر سبيلا لمعرفة الله وعبادته والمحبة الإلهية، لا ترفا حجاجيا وتكشف سيرته العمليّة وأحواله الزاهدة كما قيدها معاصروه في كتب التراجم عن حال العابد المتبتل الذي يسير على طريقة الإمام الجنيد؛ مما ينقض بالكلية الفرية التي روج لها المتن الاستشراقي، ويثبت الأصالة الروحية والعملية الكامنة في صلب المنظومة الكلامية الأشعرية السنّية خاصّة.

وممّا يُلحظ على مسالك الاستشراق الكلامي ذلك الخلاف البيّن والتناقض الواقع أحيانا بين أقطاب الاستشراق انفسهم في تعليل أمهات المسائل الكلامية، وتفسير أسباب إحداثها ونشأتها ومآلاتها، ويظهر عوار هذا التضارب بجلاء في مسائل العدل والمشيئة؛ فبينما يوافق البروفيسور دونكان بلاك ماكدونالد (Duncan B. Macdonald, 1863-1943) على الرأي القائل بأن أول مناهضة لمقالة القدر (الجبر) في الإسلام كانت راجعة بالكلية إلى التأثير النصراني، يعزو جولدتسيهر في المقابل تلك النزعات إلى ردة فعل الوعي الديني وضيق مدارك العقول بفظاظة مقالة القدر المحض وقسوتها[3] وهو تنازع داخلي يُثبت أن استبعاد الأصول القرآنية لقرائن الإحداث والنزاع في دار الإسلام يؤول بالمتن الاستشراقي دوما إلى تضارب الأقيسة وفساد المصادرات القبلية.

(1) عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 482-485.

(2) انظر المقدمة وما يليها من فصول تلحظ جانب التزكية المرافق لمختلف المسائل الكلامية المطروحة، محمد بن يوسف السنوسي، شرح السنوسية الكبرى المسمى عمدة أهل التوفيق والتسديد، تحقيق: د. عبد الفتاح عبد الله بركة.

(3) Arent Jan Wensinck, 1932, The Muslim Creed, p. 52.

3.4. تحولات ما بعد الاستعمار و آفاق الاستشراق الجديد:

أحدث النصف الثاني من القرن العشرين مراجعات نقدية واسعة داخل الفكر الغربي نفسه، وفيه برز الأثر المنهجي الذي أحدثه إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" الذي نشر سنة 1978[1]، الذي كشف فيه عن التلازم البنيوي بين المعرفة الاستشراقية والمنظومة الاستعمارية، مما دفع هذا النقد الجذري الدراسات الإسلامية الغربية نحو نمط جديد يُعرف ب"الاستشراق الجديد" الذي يمتاز بكونه أكثر تعقيدا، وأدواته المعرفية أكثر دقة وتخفيا، حيث تراجع فيه الخطاب السجالي الصريح والتعصب المذهبي المعلن، لصالح التدقيق الحجاجي في المتون؛ إذ بات يركز على الدخول إلى عمق الأدلة والكلام الداخلي لخلخلته وتبيين ما يراه مواطن ضعف وتناقض، فضلا عن دراسة نشأة المقالات والفرق بالنظر إلى طبائع بيئتها الحاضنة وأعرافها وهو ما يجعل تمريره للمصادرات القبلية[2] أشد خفاء وأكثر عمقا الأحكام والمواقف المسبقة التي يتبناها الباحث في ذهنه قبل البدء في دراسة النص، ويجعلها مسلّمات بديهية لا تقبل النقاش، ثم يُطوع أدلة البحث لتتوافق معها[3].

5. المرتكزات المعرفية والخلفيات العقائدية للمقاربة الاستشراقية

1.5. المنطلقات الفلسفية:

تقوم الرؤية الاستشراقية في دراستها لعلم الكلام على شبكة من المنطلقات الفلسفية التي شكّلت نتائجها البحثية سلفا، وتأتي الوضعية التاريخية (Historicism) في مقدمة هذه المنطلقات؛ حيث يُتعامل مع علم الكلام بوصفه مجرد ظاهرة تاريخية مغلقة، تُفسَّر حصرا في ضوء أسبابها السياسية والاجتماعية وسياقاتها الزمنية، الأمر الذي يُفقد هذا العلم طابعه المعرفي المستقل ووظيفته المتعالية بوصفه بنية فكرية حية[4]، ويتكامل هذا المنطلق مع التمركز حول العقل الغربي (Eurocentrism)، الذي يجعل من المنجز الفلسفي والديني الغربي نموذجا معياريا وحيدا للحداثة والعقلانية، وبناء عليه يُقاس علم الكلام بمعايير غريبة عنه، مما يُفضي إلى أحكام قيمية منحازة تَصِم الفكر الكلامي بالقصور الفلسفي.

وعلاوة على ذلك هيمنت نظرية التأثر والتأثير (Influence Theory) على جُل القراءات الاستشراقية؛ إذ انطلق الباحثون من فرضية مسبقة مفادها أن كل نتاج معرفي إسلامي لا بد وأن يكون متأثرا بروافد

(1) سعيد، إدوارد. (2006). الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة: محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع: القاهرة. (العمل الأصلي نُشر سنة 1978).

(2) لمقصود بـ "المصادرات القبليَّة (Axioms/Prior Assumptions) الأحكام والمواقف المسبقة التي يتبناها الباحث في ذهنه قبل البدء في دراسة النص، ويجعلها مسلّمات بديهية لا تقبل النقاش، ثم يُطوع أدلة البحث لتتوافق معها، وهو المعنى الذي ذكره لشريف الجرجاني في الموقف الأول: في المقدمات" عند نقد مسالك المستدلين بالمقدمات الوهمية والظنية التي تسبق القياس البرهاني اليقيني في مسائل الاعتقاد حيث قال " بناء الأحكام على مقدّمات ظنية موهومة يُتعامل معها كقواعد قطعية مسلّمة دون إقامة برهان عليها" انظر: علي بن محمد الشريف الجرجاني، شرح المواقف، المجلد الأول، ص 118.

(3) شافية صديق، علم الكلام الإسلامي في كتابات المستشرقين: دراسة عينات، ص 32.

(4) 16 p, Watt, William Montgomery, Islamic Philosophy and Theology.

سابقة سواء يونانية[1] أو مسيحية أو فارسية معتبرين أصالة الفكر الكلامي مسألة ثانوية مهمَّشة، وهو ما أدى إلى تجاهل الأصالة القرآنية للمسائل الكلامية الكبرى كالتوحيد والعدل والنبوات، التي نبتت أصلا في تربة الوحي، وجاءت نتيجة تفاعل العقل المسلم بالكتاب والسنة لا من مؤثرات خارجية وهو الرد المباشر على نظرية التأثر الاستشراقية[2].

فشكّلت المنهجية الإستشراقية في تناول كبريات مسائل علم الكلام إطارا حرجا حين حاولت دراسة المتن الكلامي بمعزل عن البعد الإيماني والروحي للمتكلمين، فنتج عن ذلك بتر علم الكلام عن سياقه الوظيفي داخل الحضارة الإسلامية، وتحويله من علم حي يبتغي فقه الدين إلى مجرد ترف فكري وجدل منطقي جاف.

2.5. المنطلقات الأيديولوجية:

إلى جانب الموجِّهات الفلسفية السابق ذكرها خضعت القراءة الاستشراقية لعلم الكلام لسلسلة من المنطلقات الأيديولوجية المحفوفة بالمواقف المسبقة والمصالح الوظيفية، فمن جهة أسهم منطلق الاستعلاء الحضاري الذي جعل من علم الكلام مرحلة تطورية أدنى وأقل نضجا من اللاهوت المسيحي المعاصر له[3]، ومن جهة أخرى وظّفت دواعٍ تبشيرية دراسة الفرق والمذاهب الكلامية لرصد مكامن الخلاف بينها بهدف دحض العقيدة الإسلامية وتسهيل الاختراق التبشيري، كما استُثمرت هذه القراءة سياسيا في صياغة صورة نمطية للمسلم "القدري" أو "المتعصب"، خدمت التمدد الاستعماري وبرّرت وصاية الغرب بدعوى التحديث[4]، كما سعت العلمانية الأيديولوجية إلى فصل علم الكلام عن وظيفته الإيمانية وغايته الأخلاقية ومحاولة إبراز الجانب العقلي على حساب جانبها النقلي كما حدث مع فرقة المعتزلة الكلامية حيث وصفها الاستشراق الكلامي حركة إلحاد وتمرّد مبكر على الدين، لا اجتهادا عقديا منضبطا بالشرع في آخر المطاف[5].

6. مظاهر تشويه الاستشراق لعلم الكلام

1.6. تشويه منهج علم الكلام وغايته المعرفية:

يتمثّل أول مظاهر هذا التشويه من جهة الغاية في نزوع الرؤية الاستشراقية إلى قراءة علم الكلام الإسلامي من خلال منظار اللاهوت المسيحي، وإعادة إنتاجه وفقا لمنطقه وبنيته التاريخية، متجاهلا التمايز في أصول المعرفة ومصادر التلقي ومناهج الاستدلال(الفروق لإبستيمولوجية الجوهرية) بين

(1) Arent Jan Wensinck, 1932, The Muslim Creed, p. 3.

(2) انظر الرد على هذا على نظرية التأثر الاستشراقية في كتابين، الأول: كتاب لحسن الشافعي، المدخل إلى دراسة علم الكلام، ص 35-40. وكتاب لمحمد عمارة بعنوان "المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية" الذي تناول مشكلة الحرية عند المعتزلة من منظور إسلامي نقدي إيجابي للمعتزلة ناقدا الموقف الاستشراقي الذي يزعم بالتأثر الخارجي مثبتا أصالة مسائل الكلام.

(3) Jung, Dietrich, Islamic Studies and Religious Reform, p. 232.

(4) إدوارد، سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، ص 43-44.

(5) Steiner, Die Mu'taziliten, p. 5.

الحقلين فبينما يمثل اللاهوت المسيحي محاولة لتفسير "الوحي" وعقلنته من الداخل، استنادا إلى أسرار الكنيسة والمقولات الميتافيزيقية المعقدة، فإن علم الكلام علم عقلي إسلامي مستقل، نشأ بغرض التأسيس العقلاني للعقائد الإيمانية ودفع الشبهات عنها بالبراهين المنطقية[1]، وهذا الإسقاط القسري للمفاهيم الغربية يجرّد علم الكلام من خصوصيته المعرفية، ويحيله إلى نسخة مشوَّهة لخطاب ديني غريب عنه في النشأة والوظيفة.

ويتجلى التشويه الثاني في الطرح الذي تبناه هاري وولفسون (Harry A. Wolfson, 1889-1974) في كتابه "فلسفة علم الكلام" (The Philosophy of the Kalam) الذي اختزل فيه علم الكلام في كونه امتدادا مباشرا وأثرا متأخرا للفلسفة الهيلينستية(اليونانية) وتحديدا أطروحات فيلون الإسكندري، سعيا إلى إضعاف جدارة الأصالة الإسلامية لبنية الفكر الكلامي، غير أن النقد الجوهري المتوجه لهذا الطرح يكمن في البعد الزمني والتاريخي؛ فجلّ المسائل الكلامية الكبرى تبلورت ونشأت في البيئة الإسلامية الأولى قبل حركة الترجمة الواسعة للمتن اليوناني، وجاءت استجابة لضرورات داخلية نابعة من بنية المجتمع الإسلامي والنص القرآني، ولم يكن المنطق اليوناني سوى أداة حجاجية جرى تبيئتها لاحقا وتطويعها لخدمة النص لا مصدرا تأسيسيا له[2].

ويتمثل المظهر الثالث في إنكار الوظيفة الحضارية والعملية لعلم الكلام، واختزاله في صورة "جدل عقيم" وترف فكري بارد لا ينعكس على الواقع العملي للأمة، وهي قراءة قاصرة تغفل الدور المحوري الذي أداه علم الكلام بوصفه أداة ووسيلة معرفية ومنهجا للاستدلال والبرهنة لحفظ الهوية الثقافية والدينية للمجتمع الإسلامي، وبناء نسق معرفي قادر على مواجهة التيارات الوافدة والشبهات الفكرية في سياق المثاقفة الحضارية، مما جعله ركيزة أساسية من ركائز الاستقرار الفكري الحاضن للنهضة العلمية الإسلامية[3].

2.6. تشويه القضايا الكلامية الكبرى:

تعدّدت المسالك الاستشراقية في تفكيك القضايا الكلامية الكبرى وتحوير سياقاتها الأصيلة، فمسألة الصّفات الإلهية مثلا التي يقوم الموقف الكلامي الأصيل فيها على إثبات الصفات مع تنزيه الذات عن المماثلة والتشبيه أو تأويل منضبط بقواعد الشرع عند الضرورة، زعم جولدتسيهر (Goldziher, 1910) في أطروحته أنها فرع مستحدث مقطوع عن الأقيسة النصرانية والجدل الدائر حول الأقانيم الثلاثة

(1) Anawati, Georges C & Gardet, Louis ,. Introduction à la théologie musulmane, pp. 1-2. وانظر أيضا: حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية، ص 21.

(2) Sabine Schmidtke, "Introduction", p. 4 محمد عمارة، شبهات حول الإسلام. ص. 64 ويمكن التوسع في الرد على هذه الشبهة في كتاب: علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي، ص 41-55. حيث يُثبت النشار صراحة أن علم الكلام ظهر قبل حركة الترجمة، وأن أوائل مسائله نبعت من صميم النص القرآني والسنة.

(3)

متجاهلا أن المسألة قرآنية بامتياز، نبتت من إشكال الجمع بين آيات التنزيه المطلق وآيات الإثبات في النص القرآني نفسه لا من خارج هذا النص.

وكذلك مسألة خلق القرآن وهي مسألة كلامية تفريعية نابعة أصلا من البحث في صفة الكلام الإلهي وأزليته، صوّرها ألوف يان فينسينك (A. J. Wensinck, 1882-1939) في كتابه "العقيدة الإسلامية: نشأتها وتطورها التاريخي" (The Muslim Creed: Its Genesis and Historical Development) الصادر عام 1932م، صوّرها نسخة موازية للصراع اللاهوتي حول الطبيعتين الإلهية والبشرية في المسيح، في حين أن السياق الإسلامي مغاير تماما؛ فالخلاف تمحور حول طبيعة "الحدث والقدَم" في اللفظ المنزَل لا في طبيعة الذات الإلهية كما في النزاع اللاهوتي حول طبيعة المسيح عليه السلام، ومحاولة ضبط العلاقة بين ناسوته (بشريته) ولاهوته (إلهيته)[1]..

أما مسألة "الإرادة والجبر" التي تعالج أصول التكليف والعدل الإلهي وتعلّق قدرة العبد المحدثة بالمشيئة الأزلية والقدر[2] فقد نزع دي لاسي أوليري (De Lacy O'Leary, 1872-1957) في أطروحته إلى إلحاقها كلية بروافد أجنبية خارجة عن دار الإسلام؛ مستندا في ذلك إلى مصادرته القبلية الكبرى التي قرر فيها أن حقل النظر لاهوت الإسلام صِيغَ وتطوّر من مصادر هيلينستية، حيث قال في الفصل الخامس الذي عنونه ب"المعتزلة" بعد ترجمته للعربية قال " إن هذه الثقافة الإسلامية كانت في جوهرها وعمقها جزءا من المادة الهيلينستية الرومانية، بل إن لاهوت الإسلام (يقصد علم الكلام) نفسه قد صِيغَ وتطور من مصادر هيلينستية (يونانية)"[3].

ومن هذا المنطلق العام ادعى أوليري في مناقشته لنشأة المقالات أن هذه المسألة مستعارة برمتها من حجاج الفلسفة الرواقية والمنقولات الأفلاطونية المحدثة المتأخرة مُسقطا بذلك بعصبية حضارية ظاهرة الأصالة القرآنية العميقة لإشكالية الجبر والاختيار التي نبتت أصلا في تربة الوحي الحنيف، وتوازنت فيها الآيات المحكمات بين مشيئة الله النافذة وكسب العبد المحاسب على فعله.

ولم يسلم أيضا مبحث "إعجاز القرآن" من هذا التشويه التوهيني الاستشراقي وهو مبحث أصولي مركزي في مناهج استدلال المتكلمين وقواعد النظر العقلي لإثبات المعجزة وصدق النبوة، حيث تعمّد لويس غارديه وجورج قنواتي (Louis Gardet, 1904-1986 & Georges Anawati, 1905-1994) في أطروحتهما المشتركة بالفرنسية " (Introduction à la théologie musulmane: Essai de théologie comparée) " مقدمة في اللاهوت الإسلامي: محاولة في اللاهوت المقارن" الصادرة عام 1948م، إسقاطه وتهميشه أو إغفاله بالكلية في موازنتهما العقائدية، وهو إغفال يُفسَّر عدم وجود أصل عقدي أو قياس

(1) Wensinck, Arent Jan The Muslim Creed, pp. 127-148.

(2) انظر تفصيل المسألة في كتاب أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص 132.

(3) O'Leary, Arabic Thought and its Place in History, p. vi, pp. 123-134.

عقلي تشهده كُتب النصارى يشبه مسألة إعجاز القرآن، مما حَدا بهما إلى الذهول عن أثره الجوهري وموقعه التأسيسي في منظومة النظر والحجاج عند المتكلمين المسلمين.

3.6. تشويه المدارس الكلامية ومعايير التصنيف:

واجهت المدارس الكلامية الكبرى أيضا عملية تصنيف استشراقية تعسفية، قامت على إسقاط ثنائيات الفكر الغربي الحديث كثنائية العقل والنقل، وثنائية الحرية والاستبداد على بنية الفكر الإسلامي، مما أدى إلى قلب الحقائق التاريخية والمعرفية لهذه المدارس، فقد جرى تصنيف المعتزلة في المقالات الاستشراقية بوصفهم "أهل نظر مطلق وأحرارا في الفكر (Free Thinkers)[1] وفق النزعات العلمانية والتحررية الغربية الحديثة، وهو من الفساد والتشويه الفادح لطرفي المقارنة معا؛ إذ إن المعتزلة في حقيقتهم مدرسة كلامية حجاجية تلتزم التزاما صارما بقطاعيات الشرع ونصوص الوحي المحكمة، وتحتكم إلى العقل بوصفه آلة لنظر وفهم الخطاب وحمايته من شبهات الطاعنين، لا بديلا عنه يُستغنى به ولا ناقضا لأصوله[2]، في حين أن العقلانيين ومعهم النزعات التحررية الغربية لا يقيمون للوحي وزنا، ويجعلون عقولهم حاكمة مرسلة من غير قيد شرعي أو أصل توقيفي.

كما يذكر المستشرق الفرنسي كوربان أن المعتزلة في تشكيل فكرتهم عن التوحيد كانوا متأثرين لبعض الأفكار اليهودية والمسيحية، ويرى أن موقفهم من نفي الصفات يمكن اعتباره ردة فعل ضد بعض مظاهر التثليث في العقيدة المسيحية، وأن تأكيدهم على خلق القرآن يمثل معارضة لسر التجسد المسيحي[3].

وصوّر الاستشراق الكلامي الأشاعرة في المقابل بوصفهم حركة "تقليدية" نكوصية[4] أدت إلى جمود العقل الإسلامي، وتراجعه عن الأخذ بالمناهج العقلية (التي مثلتها المعتزلة في نظرهم)، والارتداد إلى النقل المحض دون تعقُّل[5] وهي دعوى تكذّبها الحقيقة التاريخية والمعرفية للمذهب الأشعري، الذي مثّل توسطا منهجيا حقيقيا استطاع التوفيق بين مقتضيات العقل الصريح والنقل الصحيح، مما جعله يحظى بالقبول التاريخي الأوسع في العالم الإسلامي[6].

---

(1) De Lacy Evans, O'Leary 1922, Arabic Thought and its Place in History, Chap. V, p. 123.

(2) Goldziher, 1981, Introduction to Islamic Theology, pp. 92-96 Jung, Dietrich, 2013, Islamic Studies and Religious Reform, p. 232.

(3) عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 482-.

(4)Goldziher, Ignaz, Introduction to Islamic Theology and Law, pp 92-96; وانظر Jung, Dietrich, Islamic Studies and Religious Reform, p.232 .

(5) De Lacy Evans, O'Leary 1922, Arabic Thought and its Place in History, Chap. V, P208.

(6) Watt, William Montgomery, Islamic Philosophy and Theology, pp 65-80. الفصل الخاص بالأشعرية

انظر أيضا النقد على هذا التصنيف الاستشراقي في كتاب: موسوعة المستشرقين، لعبد الرحمن بدوي ص 482 وما بعدها.

في حين عُدَّت المدرسة الماتريدية الكلاميّة مدرسة هامشية ثانوية، ملحقة بالأشعرية في جل المصنفات الاستشراقية[1]، بينما هي في الواقع مدرسة عقلية متكاملة البناء، تميزت بخصوصية منهجية دقيقة في التوفيق بين الأثر والنظر، تختلف وتتمايز عن الأشعرية وإن تقاطعت معها في المنطلقات والغايات.

وتتأسس هذه الإشكالات التصنيفية في جوهرها على منطلقين رئيسين: أولهما إسقاط الثنائية الغربية الحادة بين العقل والنقل على منظومة إسلامية بُنيت أصلا على التكامل بينهما، وثانيهما نزع السياق التاريخي عن المدارس الكلامية، مما جعل الخطاب الاستشراقي يسقط في فخ قراءة "الأنا" الحضارية أثناء محاولته فهم "الآخر" الإسلامي.

7. خاتمة

يتبيّن من خلال هذه الدراسة أن المقاربة الاستشراقية لعلم الكلام الإسلامي، على تنوع مدارسها ومناهجها عبر القرون بداية من الجدل الديني إلى الاستشراق الجديد تتقاسم في عمقها نزوعا مشتركا نحو إسقاط منطلقات فلسفية وأيديولوجية غربية على بنية فكرية مغايرة، وهو ما أفضى إلى تغييب الأصالة القرآنية لكبرى القضايا الكلامية، وإلى تصنيفات مقلوبة للمدارس الكلامية تجعل من العقلانية تحررا والإلتزان بقواطع الوحي جمودا، دون اعتبار للضوابط الشرعية الناظمة لكل مدرسة في سياقها الخاص.

وتوصي الدّراسة بضرورة بناء منهج نقدي إسلامي مستقل، يقوم على ثلاث خطوات متكاملة: الكشف النقدي للمرتكزات المعرفية عن المسلّمات الضمنية في كل قراءة استشراقية، ودراسة المفاهيم والمسائل بالنظر إلى بيئتها وظروفها التاريخية والواقعية التي نبتت فيها، ثم المقارنة وفق السياق التي تفهم كل فكرة كلامية في سياقها الحضاري الأصيل لا في سياق المقارِن الغربي، وايضا البناء العلمي لقراءة كلامية أصيلة تستثمر ما هو نافع في الجهد الاستشراقي التحقيقي من جمع للمخطوطات وتحقيق للنصوص وتتجاوز في الوقت نفسه موجهاته المسبقة، تأسيسا لحضور إسلامي علمي فاعل في النقاش الأكاديمي العالمي حول الفكر الكلامي.

8. قائمة المراجع

- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل. (1980). مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (عنى بتصحيحه: هلموت ريتر). ط3. فيسبادن، ألمانيا: دار فرانز شتاينز.
- بدوي، عبد الرحمن. (1993). موسوعة المستشرقين. ط3. بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.
- التميمي، حيدر قاسم مطر. (2018). علم الكلام الإسلامي في دراسات المستشرقين الألمان. مجلة المستقبل العربي، 40(468)، 112-125. متاح على موقع مركز دراسات الوحدة العربية: *https://caus.org.lb.*

(1) Schmidtke, Sabine, 2016 "Introduction", in The Oxford Handbook of Islamic Theology, p. 4.

- التهانوي، محمد بن علي. (1996). موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (تحقيق: د. رفيق العجم). ط1. بيروت، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.
- الجرجاني، علي بن محمد الشريف. (1907). شرح المواقف (ومعه حواشي الفناري والسيالكوتي). ط1. مصر: مطبعة السعادة.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد. (1990). الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار). بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.
- الحاج، ساسي سالم. (2002). نقد الخطاب الاستشراقي. ط1. بيروت، لبنان: دار المدار الإسلامي.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (1988). مقدمة ابن خلدون (تحقيق: خليل شحادة). ط2. بيروت، لبنان: دار الفكر.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (1988). مقدمة ابن خلدون (ط2). دار الفكر: بيروت.
- الديب، عبد العظيم محمود. (1992). المستشرقون والتراث. ط3. المنصورة، مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.
- زقزوق، محمود حمدي. (1989). الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. القاهرة، مصر: دار المنار [سلسلة كتاب الأمة، العدد الخامس].
- سعيد، إدوارد. (2006). الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق (محمد عناني، مترجمًا). القاهرة، مصر: دار رؤية للنشر والتوزيع. (العمل الأصلي نُشر سنة 1978).
- السنوسي، محمد بن يوسف. (1986). شرح السنوسية الكبرى المسمى عمدة أهل التوفيق والتسديد (تحقيق: د. عبد الفتاح عبد الله بركة). ط1. القاهرة، مصر: دار القلم.
- الشافعي، حسن، المدخل إلى دراسة علم الكلام، مكتبة وهبة: القاهرة، 1991.
- الشلالي، هدى بنت ناصر. (2026). موقف المستشرقين من علم الكلام والأشاعرة: عرض ونقد في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة. (رسالة دكتوراه غير منشورة). قسم الدراسات الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- صديق شافية. (2024). علم الكلام الإسلامي في كتابات المستشرقين: دراسة عينات. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، 15*(1)، 11-40.
- عمارة، محمد. (1984). المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية. ط2. بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- عمارة، محمد. (1997). شبهات حول الإسلام. القاهرة، مصر: دار الرشاد.
- الفارابي، أبو النصر محمد بن محمد. (1996). إحصاء العلوم (تحقيق: د. عثمان أمين). القاهرة، مصر: مكتبة الخانجي.

- فؤاد، عبد المنعم. (2001). من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام: عرض ونقد. ط1. الرياض، المملكة العربية السعودية: مكتبة العبيكان.
- كوربان، هنري. (2004). تاريخ الفلسفة الإسلامية (ترجمة: نصير مروة وحسن قبيسي؛ مراجعة وتقديم: الإمام موسى الصدر والأمير عارف ثامر). ط2. بيروت، لبنان: دار عويدات للنشر والتوزيع. (العمل الأصلي نُشر بالفرنسية عام 1964).
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (1414هـ). لسان العرب. ط3. بيروت، لبنان: دار صادر.
- نادر، ألبير نصري. (1983). مساهمة المستشرقين في نشر التراث الإسلامي الخاص في علم الكلام. مجلة الإنماء العربي، (31)، 306-320.
- النبهان، محمد فاروق. (2012). الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره. الرباط، المغرب: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو).
- النشار، علي سامي. (1965). مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي، دار المعارف: القاهرة.

9. Bibliography List

- Al-Ash’ari, Abu al-Hasan Ali ibn Isma’il (1980), Maqalat al-Islamiyyin wa-Ikhtilaf al-Musallin [Doctrines of the Muslims and the Disagreement of Those Who Pray], Franz Steiner Verlag, Germany.
- Al-Dib, Abd al-Azim Mahmud (1992), Al-Mustashriqun wa-l-Turath [Orientalists and the Heritage], Dar al-Wafa for Printing, Publishing and Distribution, Egypt.
- Al-Farabi, Abu Nasr Muhammad ibn Muhammad (1996), Ihsa’ al-Ulum [Enumeration of the Sciences], Maktabat al-Khanji, Egypt.
- Al-Haj, Sasi Salim (2002), Naqd al-Khitab al-Istishraqi [Critique of Orientalist Discourse], Dar al-Madar al-Islami, Lebanon.
- Al-Jawhari, Isma’il ibn Hammad (1990), Al-Sihah: Taj al-Lugha wa-Sihah al-Arabiyya [Al-Sihah: The Crown of Language and the Authentic Arabic], Dar al-Ilm lil-Malayin, Lebanon.
- Al-Jurjani, Ali ibn Muhammad al-Sharif (1907), Sharh al-Mawaqif [Commentary on al-Mawaqif], Matba’at al-Sa’ada, Egypt.
- Al-Nabhan, Muhammad Faruq (2012), Al-Istishraq: Ta’rifuhu, Madarisuhu, Atharuhu [Orientalism: Its Definition, Schools, and Effects], Islamic Educational, Scientific and Cultural Organization (ISESCO), Morocco.

- Al-Nashshar, Ali Sami (1965), Manahij al-Bahth inda Mufakkiri al-Islam wa-Iktishaf al-Manhaj al-Ilmi [Research Methods among Muslim Thinkers and the Discovery of the Scientific Method], Dar al-Ma'arif, Egypt.
- Al-Sanusi, Muhammad ibn Yusuf (1986), Sharh al-Sanusiyya al-Kubra al-Musamma Umdat Ahl al-Tawfiq wa-l-Tasdid [Commentary on the Greater Sanusiyya, Entitled "The Mainstay of the People of Divine Success and Right Guidance"], Dar al-Qalam, Egypt.
- Al-Shafi'i, Hasan (1991), Al-Madkhal ila Dirasat Ilm al-Kalam [Introduction to the Study of Kalam], Maktabat Wahba, Egypt.
- Al-Shalali, Huda bint Nasir, Mawqif al-Mustashriqin min Ilm al-Kalam wa-l-Ash'ira: Ard wa-Naqd fi Daw' Aqidat Ahl al-Sunna wa-l-Jama'a [The Orientalists' Position on Kalam and the Ash'arites: Presentation and Critique in Light of the Creed of Ahl al-Sunna wa-l-Jama'a] (unpublished doctoral thesis), College of Social Sciences, King Saud University, Saudi Arabia, 2026.
- Al-Tahanawi, Muhammad ibn Ali (1996), Mawsu'at Kashshaf Istilahat al-Funun wa-l-Ulum [Encyclopedia of the Glossary of the Technical Terms of the Arts and Sciences], Maktabat Lubnan Nashirun, Lebanon.
- Al-Tamimi, Haydar Qasim Matar (2018), Ilm al-Kalam al-Islami fi Dirasat al-Mustashriqin al-Almān [Islamic Kalam in the Studies of German Orientalists], Al-Mustaqbal al-Arabi, Beirut, Vol. 40, No. 468.
- Badawi, Abd al-Rahman (1993), Mawsu'at al-Mustashriqin [Encyclopedia of Orientalists], Dar al-Ilm lil-Malayin, Lebanon.
- Corbin, Henry (2004), Tarikh al-Falsafa al-Islamiyya [History of Islamic Philosophy], Dar Uwaydat for Publishing, Lebanon.
- Derenbourg, Hartwig (1928), Les manuscrits arabes de l'Escurial: Tome III, Théologie, Géographie, Histoire, Librairie orientaliste Paul Geuthner, France.
- Fu'ad, Abd al-Mun'im (2001), Min Iftira'at al-Mustashriqin ala al-Usul al-Aqadiyya fi al-Islam: Ard wa-Naqd [On the Orientalists' Slanders against the Doctrinal Foundations of Islam: Presentation and Critique], Maktabat al-Obeikan, Saudi Arabia.
- Gardet, Louis & Anawati, Georges Chehata (1948), Introduction to Muslim Theology: An Essay in Comparative Theology, Librairie philosophique J. Vrin, France.

- Goldziher, Ignaz (1981), Introduction to Islamic Theology and Law, Princeton University Press, United States.
- Ibn Khaldun, Abd al-Rahman ibn Muhammad (1988), Muqaddimat Ibn Khaldun [The Muqaddimah of Ibn Khaldun], Dar al-Fikr, Lebanon.
- Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram (1993–1994 [1414 AH]), Lisan al-Arab [The Arab Tongue], Dar Sadir, Lebanon.
- Imara, Muhammad (1984), Al-Mu'tazila wa-Mushkilat al-Hurriyya al-Insaniyya [The Mu'tazila and the Problem of Human Freedom], Al-Mu'assasa al-Arabiyya lil-Dirasat wa-l-Nashr, Lebanon.
- Imara, Muhammad (1997), Shubuhat hawla al-Islam [Misconceptions about Islam], Dar al-Rashad, Egypt.
- Jung, Dietrich (2013), Islamic Studies and Religious Reform: Ignaz Goldziher – A Crossroads of Judaism, Christianity and Islam, Der Islam, Berlin, Vol. 90, No. 1.
- Nader, Albert Nasri (1983), Musahamat al-Mustashriqin fi Nashr al-Turath al-Islami al-Khass bi-Ilm al-Kalam [The Contribution of Orientalists to the Publication of the Islamic Heritage on Kalam], Al-Inma' al-Arabi, Beirut, Vol. n/a, No. 31.
- O'Leary, De Lacy Evans (1922), Arabic Thought and its Place in History, Kegan Paul, Trench, Trübner & Co., United Kingdom.
- Pretzl, Otto (1930), Die frühislamische Atomenlehre: Ein Beitrag zur Frage über die Beziehungen der frühislamischen Theologie zur griechischen Philosophie, Der Islam, Berlin, Vol. 19, No. 3.
- Pretzl, Otto (1940), Die frühislamische Attributenlehre: Ihre weltanschaulichen Grundlagen und Wirkungen, Bayerische Akademie der Wissenschaften, Germany.
- Said, Edward (2006), Al-Istishraq: al-Mafahim al-Gharbiyya lil-Sharq [Orientalism: Western Conceptions of the Orient], Ru'ya for Publishing and Distribution, Egypt.
- Schmidtke, Sabine (2016), Introduction, in The Oxford Handbook of Islamic Theology, Oxford University Press, United Kingdom.
- Siddiq, Shafia (2024), Ilm al-Kalam al-Islami fi Kitabat al-Mustashriqin: Dirasat Ayyinat [Islamic Kalam in the Writings of Orientalists: A Sample Study], Majallat al-Shari'a wa-l-Dirasat al-Islamiyya [Journal of Sharia and Islamic Studies], [place to be verified], Vol. 15, No. 1.

- Steiner, Heinrich (1865), Die Mu'taziliten oder die Freidenker im Islâm: Ein Beitrag zur allgemeinen Culturgeschichte, S. Hirzel, Germany.
- Watt, W. Montgomery (1985), Islamic Philosophy and Theology: An Extended Survey, Edinburgh University Press, United Kingdom.
- Wensinck, Arent Jan (1932), The Muslim Creed: Its Genesis and Historical Development, Cambridge University Press, United Kingdom.
- Zaqzuq, Mahmud Hamdi (1989), Al-Istishraq wa-l-Khalfiyya al-Fikriyya lil-Sira' al-Hadari [Orientalism and the Intellectual Background of the Civilizational Conflict], Dar al-Manar, Egypt.